مختلفون.. ولكن!

لَسْتِ وَحيدَةً

تأليف

د. رشا تدمري

رسوم

نبيل قدوح

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - لبنان

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 7 00961
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
07 230195 - 230841 7 00961
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

2020 م - 1441 هـ

Copyright © all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت ألكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدمًا.

E. Mail: alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

بَدَأَ العامُ الدِّراسِيُّ مُنْذُ أُسْبوعٍ. عُدْتُ إِلى المَدْرَسَةِ والْتَقَيْتُ مُجَدَّدًا بِرُفَقائي، ولٰكِنْ هٰذِهِ المَرَّةَ نَحْنُ في صَفٍّ جَديدٍ، لَقَدْ كَبُرْنا عامًا وَأَصْبَحْنا في الصَّفِّ الخامِسِ.

جَلَسَ كُلُّ مُتَعَلِّمٍ بِجِوارِ رَفيقِهِ أَوْ رَفيقَتِهِ، حَسَبَ تَوْجيهاتِ المُعَلِّماتِ، وَبَقِيَ مَقْعَدٌ فارِغٌ يَتَّسِعُ لاثْنَيْنِ في مَكانٍ قَريبٍ مِنْ طاوِلَةِ المُعَلِّمَةِ، رَغْمَ أَنَّ عَدَدَنا كان قَدِ اكْتَمَلَ. بَقِيَ كَذَلِكَ طِوالَ الأَيَّامِ الدِّراسِيَّةِ الأُولَى.

وَفي يَوْمٍ، وفي أَثْناءِ حِصَّةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، طُرِقَ البابُ، وأَطَلَّتِ النَّاظِرَةُ وَآنِسَةٌ مَعَها تُرافِقُهما طِفْلَةٌ جَميلَةٌ جِدًّا. كانَ يَبْدو مِنْ طُولِها أَنَّها مِنْ عُمُرِنا. شَعْرُها بِلَوْنِ خُيوطِ الشَّمْسِ، وَعَيْناها بِلَوْنِ وَرَقَةِ زَيْتُونٍ لامِعَةٍ، أَمّا بَشَرَتُها فَبَيْضاءُ كَبَياضِ الثَّلْجِ.

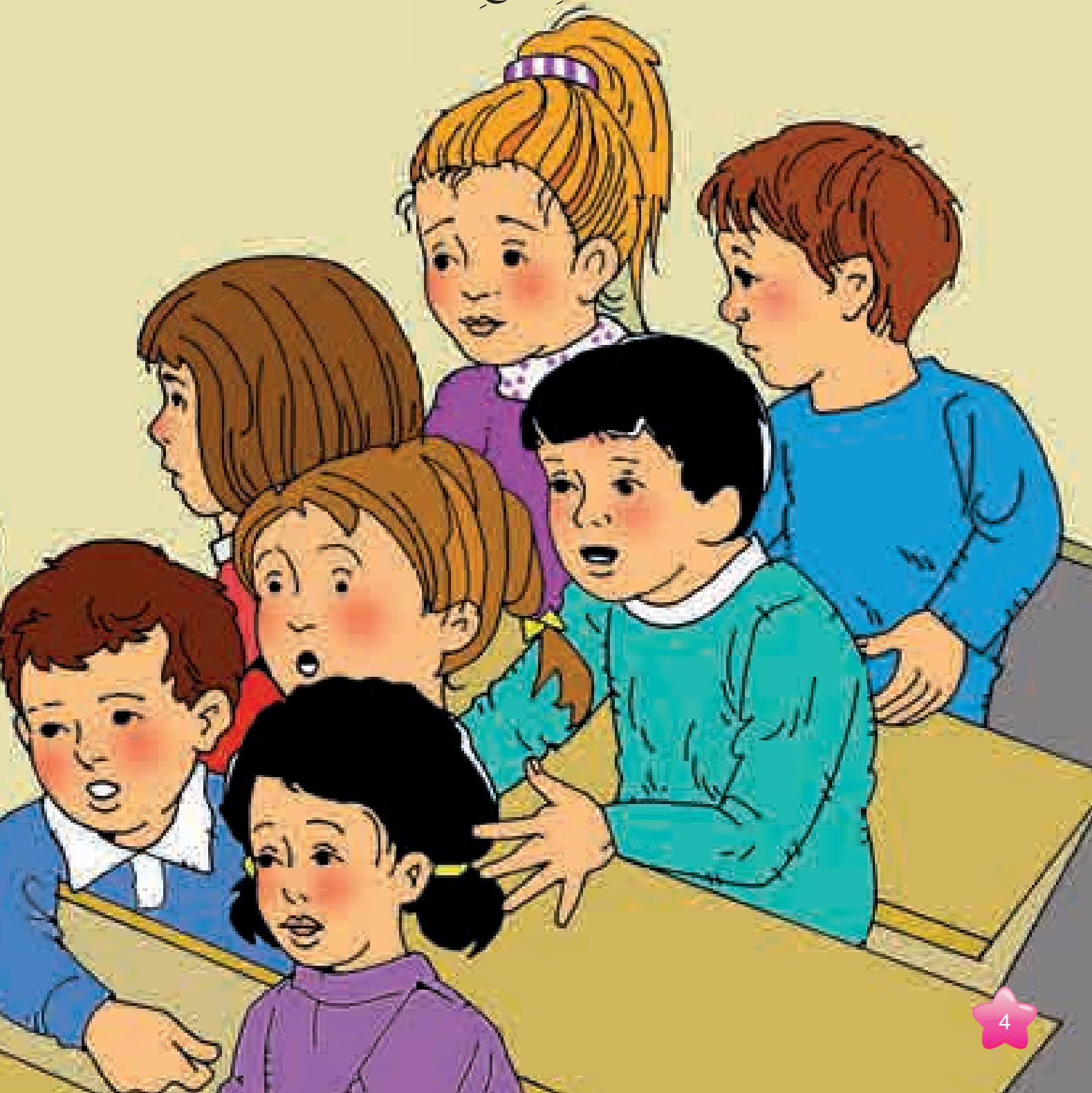

تَوَجَّهَتِ المُعَلِّمَةُ نَحْوَهُنَّ، وأَخَذَتْ تَتَبادَلُ الحَديثَ مَعَهُنَّ. بَدَتِ الطِّفْلَةُ كَما لَوْ كانَتْ تَكْتَشِفُ المَكانَ، إذْ راحَتْ تَنْظُرُ حَوْلَها بِحَرَكَةٍ رَأْسِيَّةٍ دائِرِيَّةٍ، وَشَعَرْتُ بِالأُلْفَةِ تِجاهَها وَكَأَنَّني أَعْرِفُها مُنْذُ زَمَنٍ.

في هٰذِهِ الأَثْناءِ بَدَأَتْ مَوْجَةٌ مِنَ التَّساؤلاتِ بَيْنَ مُتَعَلِّمي الصَّفِّ، إِذْ كانوا يَتَساءَلُونَ ما إِذا كانَتْ هٰذِهِ الطِّفْلَةُ الرَّقيقَةُ سَتَنْضَمُّ إِلَى صَفِّنا. وسُرْعانَ ما جاءَتِ الإِجابَةُ عِنْدَما قالَتْ لَنا المُعَلِّمَةُ:

«رَحِّبُوا يا أَحِبَّائي بِرَفيقَتِكُمُ الجَديدَةِ نورا، مِنَ اليَوْمِ سَتَنْضَمُّ إِلَى صَفِّنا».

أَخَذَ الجَميعُ يُرَدِّدُ عِبارَةَ: «أَهْلًا وَسَهْلًا بِكِ يا نورا».

إِلَّا أَنَّ نورا لم تُجِبْنا وَكَأَنَّها لا تَسْمَعُنا، حَتَّى إِنَّها لَمْ تَتَوَجَّهْ بِنَظَرِها نَحْوَنا. أَمّا تَعابيرُ وَجْهِها فَلَمْ تَكُنْ تُعَبِّرُ عَنْ خَوْفٍ أَوِ ارْتِباكٍ، ولا حَتَى عَنْ فَرَحٍ أَوْ راحَةٍ نَفْسِيَّةٍ. والغَريبُ في الأَمْرِ أَنَّها لَمْ تَدْخُلْ بِمُفْرَدِها إِلَى غُرْفَةِ الصَّفِّ، بَلْ رَافَقَتْها تِلْكَ الآنِسَةُ. وأَشارَتِ المُعَلِّمَةُ إِلَيْهِما أَنْ يَجْلِسا عَلَى ذَلِكَ المَقعَدِ الفارِغِ بِجِوارِها.

دُهِشْنا مِن هٰذَا المَوْقِفِ، وسَأَلَ أَحَدُنا: «أَسَتَبْقَى والِدَةُ نورا مَعَها في الصَّفِّ؟»

أَجَابَتِ المُعَلِّمَةُ: «نَعَمْ يا أَبْنائي سَتَبْقَى الآنِسَةُ ريم مَعَنَا في الصَّفِّ، فَهِيَ تُرافِقُ نورا طَوالَ الْيَومِ الدِّراسِيِّ... والآنَ فَلْنُتَابِعْ دَرْسَنا».

خَيَّمَ الصَّمْتُ عَلَى الجَميعِ، إِذْ زادَتْ إِجابَةُ المُعَلِّمَةِ مِنْ حَيْرَتِنا، فَما هُوَ الدَّاعي يا تُرَى لِيَكُونَ لِطِفْلَةٍ مِثْلِنا مُعَلِّمَةٌ خاصَّةٌ بِها تَبْقَى مَعَها في المَدْرَسَةِ، بَلْ في الصَّفِّ؟!

وَلاحَظْتُ في أَثْناءِ شَرْحِ المُعَلِّماتِ الدَّرْسَ لَنا أنَّ الآنِسَةَ ريم كانَتْ تَشْرَحُ هِيَ الأُخْرَى الدَّرْسَ نَفْسَهُ لِنورا، بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ، وتُمْسِكُ بِيَدِها أَحْيانًا لِتُساعِدَها عَلَى الرَّسْمِ أَوِ الكتابَةِ. واسْتَمَرَّتِ الحالُ عَلَى

هٰذَا النَّحْوِ لِأَيَّامٍ وأَسابيعَ، وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانتِ المُعَلِّمَةُ تَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نُشَكِّلَ فَرِيقًا وَنَتَعاوَنَ لِإِنْجازِ مَهَمَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، كَانَتْ نورا تَبْقَى جالِسَةً مَكانَها مَعَ الآنِسَةِ ريم ولا تُشارِكُنا النَّشاطَ. كما أَنَّ المُعَلِّماتِ كُنَّ لا يُوَجِّهْنَ إِلَيْها الأَسْئِلَة، لِدَرَجَةِ أَنَّنا لَمْ نَسْمَعْ صَوْتَها مُنْذُ أَنِ انْضَمَّتْ إِلَى صَفِّنا.

أَمّا في أَوْقاتِ الاسْتِراحَةِ، فَكانَتْ نورا تَلْعَبُ وَحْدَها، وقَدْ حَاوَلْتُ مِرارًا دَعْوَتَها لِلَّعِبِ، فَكانَتْ تَقْتَرِبُ مِنِّي بِتَشْجيعٍ مِنْ مُساعِدَتِها، مِن دونِ أنْ تُشارِكَني في اللَّعِبِ، بَلْ أَراها تَدورُ حَوْلي وَهِيَ تُرَفْرِفُ بِيَدَيْها بِشَكْلٍ مُسْتَمِرٍّ وَكَأَنَّها تَطيرُ...

وكُنتُ أَضْحَكُ وَأَرْكُضُ مِثْلَها. لا أَعْرِفُ لِماذا كُنْتُ أَشْعُرُ بِالرَّغْبَةِ بِالاقْتِرابِ مِنْها. وكانَتْ تَبْقَى عَلَى هٰذِهِ الحالِ طَوالَ فَتْرَةِ الِاسْتِراحَةِ مِنْ دونِ تَعَبٍ أَوْ مَلَلٍ، فَلا تَكْتَرِثُ لي ولِرِفاقِ الصَّفِّ، والآنِسَةُ ريم تُراقِبُها مِنْ قُرْبٍ.

في يَوْمِ جُمُعَةٍ مِنْ آخِرِ الشَّهْرِ، وكَعادَتِنا، كُنَّا نَحْتَفِلُ بِعيدِ ميلادِ أَحَدِ زُمَلائِنا في الصَّفِّ، بِحُضورِ وبِمُشارَكَةِ المُعَلِّمَةِ. وَحينَ بَدَأْنا جَميعُنا بِالغناءِ احْتِفالًا بِعيدِ رَفيقِنا، رَأَيْتُ نورا تَضَعُ يَدَيْها عَلَى أُذُنَيْها

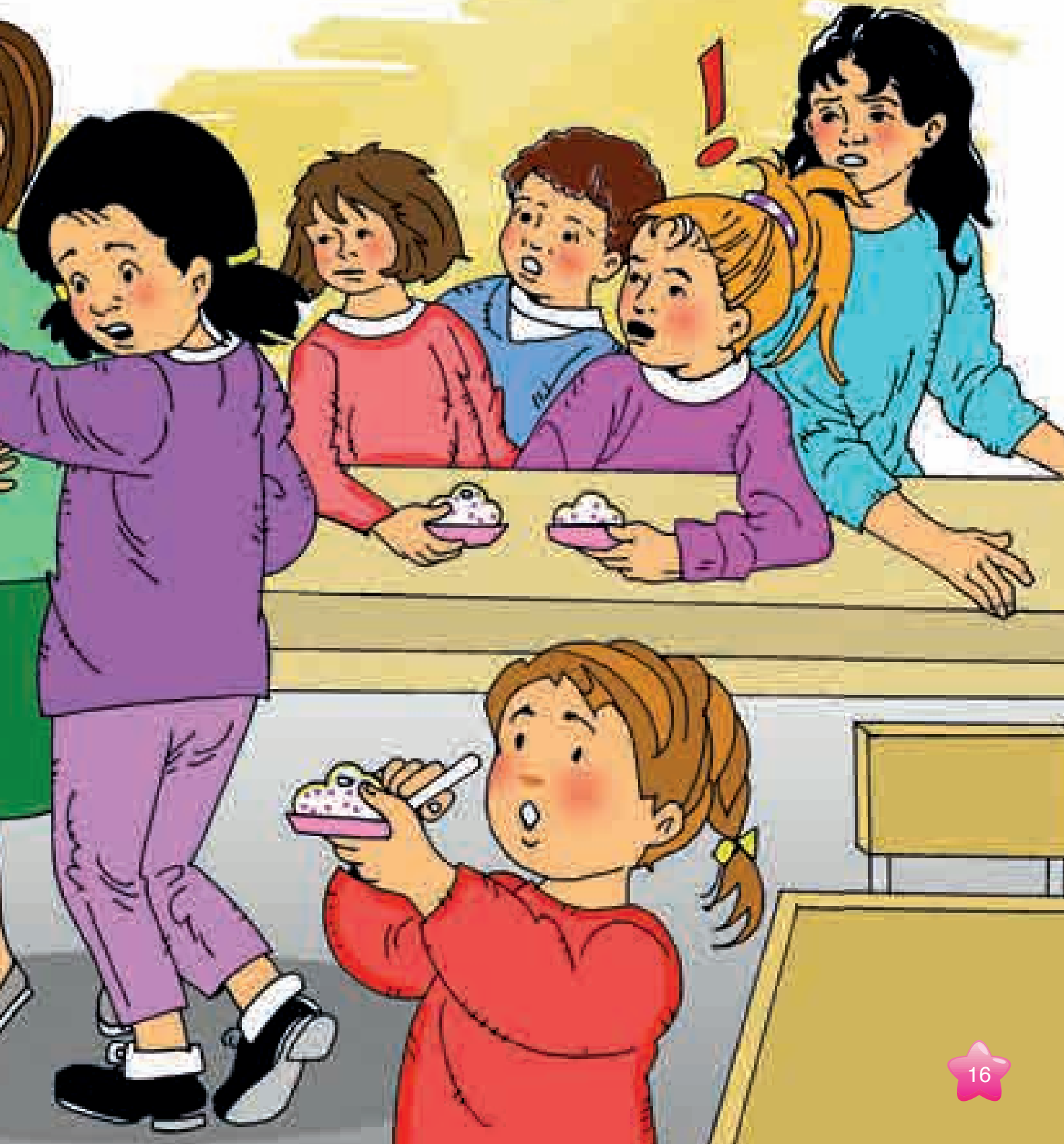

وَكَأَنَّها لا تَحْتَمِلُ سَماعَ أَصْواتِنا، وَأَخَذَتْ تُشيرُ إِلَى البَابِ بِحَرَكَةٍ عَصَبِيَّةٍ، وَعَلَى الفَوْرِ عِنْدَما تَنَبَّهَتْ لِذَلِكَ الآنِسَةُ ريم أَخْرَجَتْها مِنْ غُرْفَةِ الصَّفِّ.

شَعَرْتُ بِالْحَيْرَةِ، فَما الَّذي جَرَى لِنورا... واسْتَغْرَبَ الجَميعُ أيضًا مَا حَصَلَ.

في اليَوْمِ التَّالي، لَمْ تَحْضَرِ الطِّفْلَةُ إِلَى المَدْرَسَةِ، وكانَ الفُضولُ ما يَزالُ يَدْفَعُني لِأَفْهَمَ ما يَحْصُلُ مَعَ رَفيقَتِنا البَريئَةِ. فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَ المُعَلِّمَةِ في وقْتِ الاسْتِراحَةِ وَسَأَلْتُها:

«هَلّا أَخْبَرْتِنا ما هُوَ وَضْعُ رَفِيقَتِنا نورا؟ الجَميعُ بِحاجَةٍ لِأَنْ يَفْهَمَ الكَثيرَ عَنْها، وأَنَا أَحْبَبْتُها كَثيرًا وَأَشْعُرُ أَنَّهُ يُمْكِنُني مُساعَدَتُها».

أَجابَتِ المُعَلِّمَةُ:

«كَمْ تُعْجِبُني مَشاعِرُكِ الرَّقيقَةُ يا لَيالُ... بِالطَّبعِ يُمْكِنُكِ بِمَحَبَّتِكِ هٰذِهِ أَنْ تُساعِدي نورا. إِسْمَعي جَيِّدًا ما سَأَقُولُهُ لَكِ: نورا تُعاني مِنْ «الذّاتَوِيَّةَ»، مُنْذُ أَنْ كانَتْ صَغيرَةً. «الذّاتَوِيَّةُ» مَرَضٌ يَحْصُلُ في الدِّماغِ. هٰذَا لا يَعْني أَنَّ نورا مُصابَةً بِمَرَضٍ مُعْدٍ كَالأُنْفلُوَنْزا مَثَلاً؛ كُلُّ ما في الأَمْرِ أَنَّها لا تَفْهَمُ الأَشْياءَ بِالطَّريقَةِ الَّتي يَفْهَمُها بِها مُعْظَمُ النَّاسِ، كما أَنَّ حَواسَّها تَعْمَلُ بِطَريقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنّا. لِذا تُزْعِجُها الأَصْواتُ المُرْتَفِعَةُ وتُشَتِّتُ انْتِباهَها.

فَقاطَعْتُها مُتَمْتِمَةً: «لَقَدْ فَهِمْتُ، يَوْمَ أَمْسِ أَزْعَجَتْها أَصْواتُنا وَنَحْنُ نُغَنّي لِرَفِيقِنا، لِذَلِك خَرَجَتْ مِنَ الغُرْفَةِ».

تابَعَتِ المُعَلِّمَةُ: «نَعَمْ صَحيحٌ، ما يَجِبُ أَنْ تَعْرِفيهِ أيضًا أَنَّ الطِّفْلَ الذّاتَوِيَّ لا يَتَكَلَّمُ كَثيرًا، بَلْ يَسْتَخْدِمُ لُغَةَ الإشارَةِ لِلتَّعْبيرِ عَنْ حاجاتِهِ. أَمّا الآنِسَةُ الَّتي تَتْبَعُها عَلَى الدَّوامِ، فَهِيَ مُساعِدَتُها، دَوْرُها أَنْ تُسانِدَها في الصَّفِّ وَخارِجِه. أُريدُكِ أَنْ تَعْرِفي أَنَّ «الذّاتَوِيَّةَ» تُؤَثِّرُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ بِطَريقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَلا تَشابُهَ بَيْنَ طِفْلَيْنِ «ذاتَوِيَّيْنِ».

وَضَعَتِ المُعَلِّمَةُ يَدَها عَلَى كَتِفي وقالَتْ: «وَالآنَ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتِ حالَةَ رَفيقَتِكِ، أَتَطَلَّعُ أَنْ تَكوني قَريبَةً مِنْها، وأَنْ تُقَدِّمي لَها المُساعَدَةَ».

مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ قَرَّرْتُ أَنا وجَميعُ الرِّفاقِ مُساعَدَةَ نورا واحْتِرامَ احْتِياجاتِها.

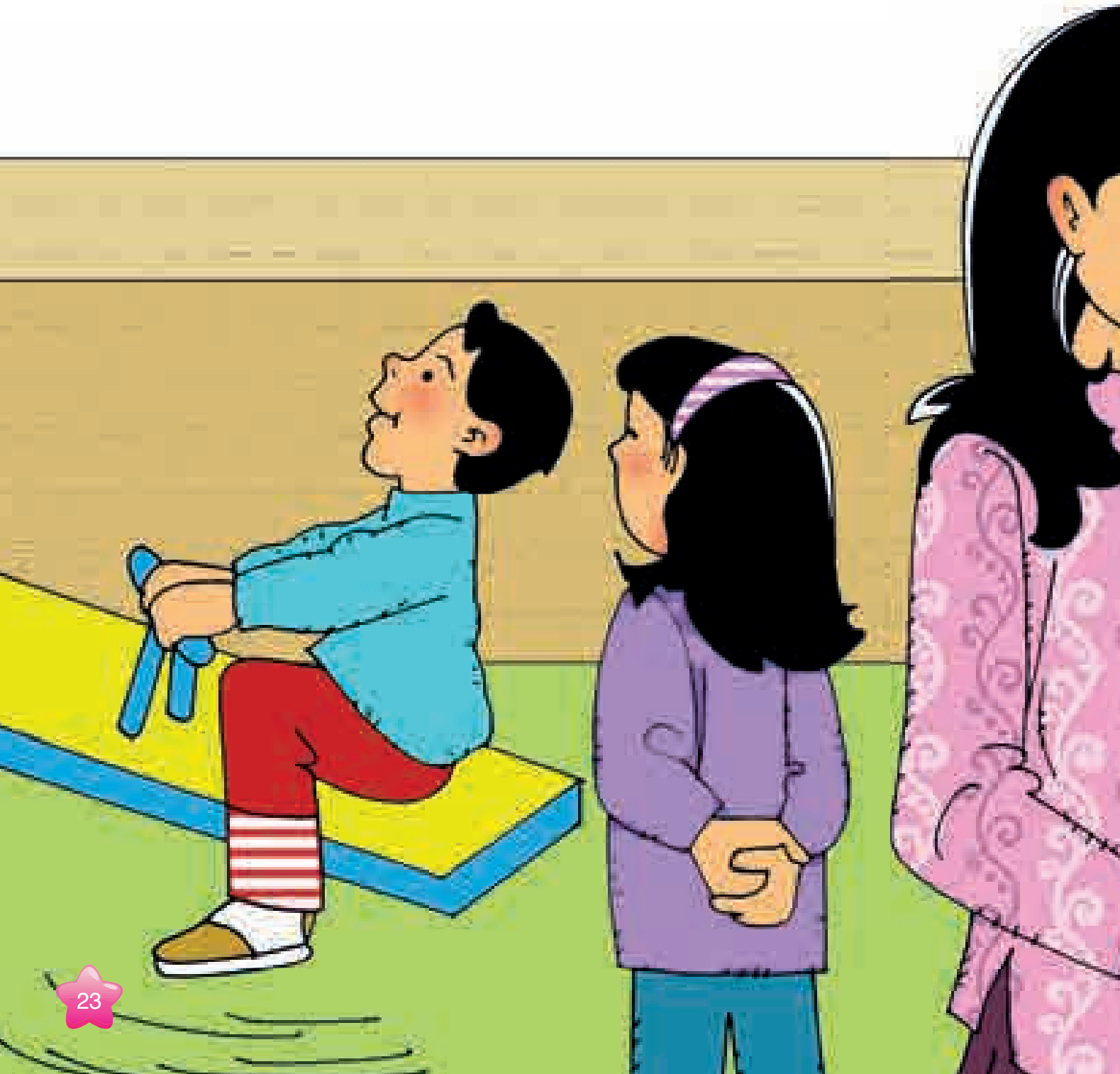

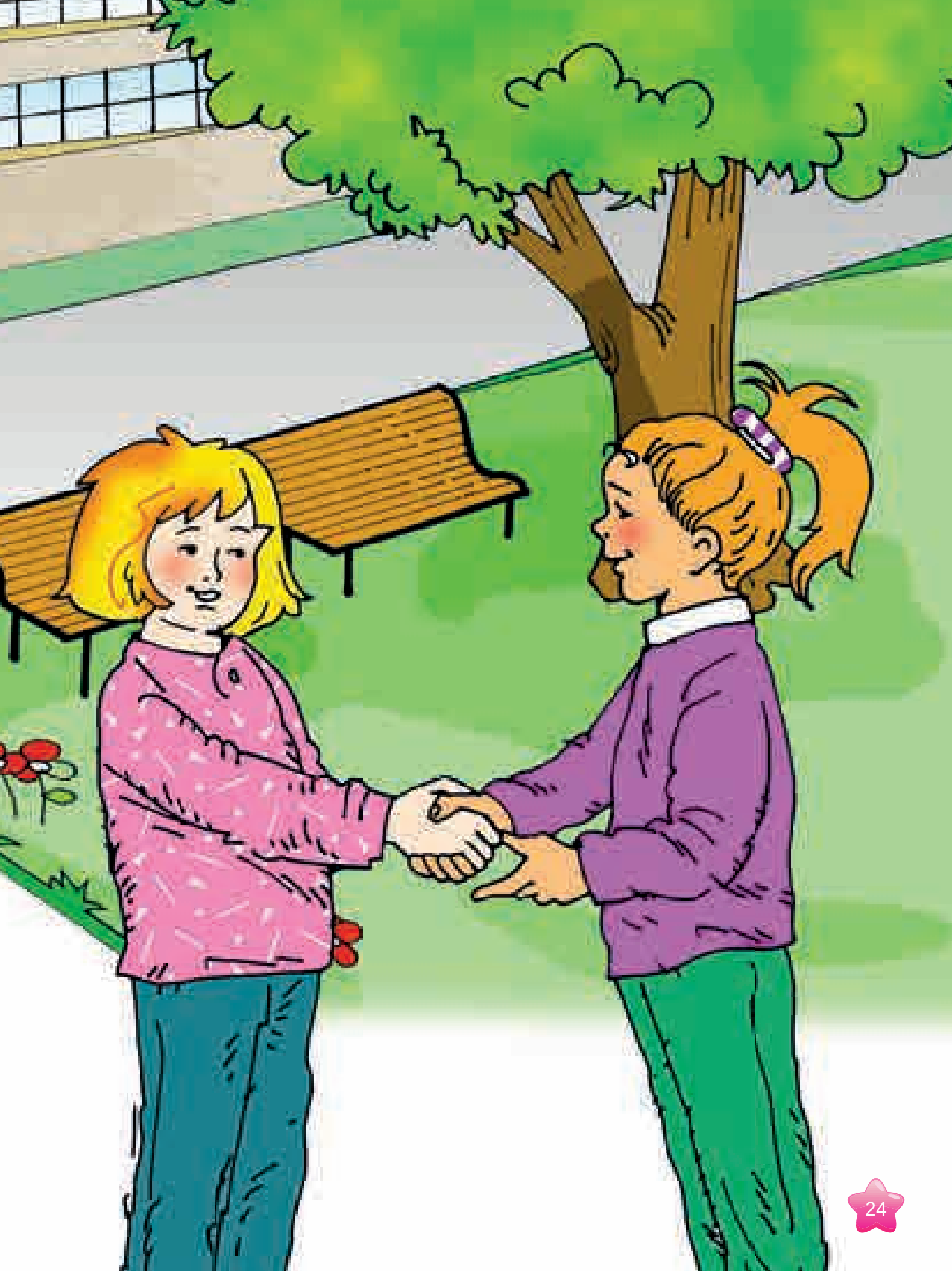

في اليَوْمِ التّالي أَحْضَرَ أَحَدُهُمْ مَعَهُ كُرَةً إِلى المَدْرَسَةِ، وفي أَثْناءِ الاسْتِراحَةِ شارَكَتْنا نورا اللَّعِبَ بِها، طَبْعًا عَلَى طَريقَتِها، وكُنَّا جَميعُنا سُعَداءَ بِإِمْساكِها الكُرَةَ وقَذْفِها مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ مِنْ دونِ تَعَبٍ.

وفي وَقْتِ الحِصَصِ الدِّراسِيَّةِ وحينَ كانَ يُطْلَبُ مِنّا تَنْفيذُ عَمَلٍ جَماعِيٍّ، كُنّا نَطْلُبُ مِنْ نورا أَنْ تَنْضَمَّ إِلَيْنا، وَكُنّا نَتَبادَلُ الكَلامَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ لِكَيْ لا تُزْعِجَها أَصْواتُنا المُرْتَفِعَةُ.

أَدْرَكَ الجَميعُ أَنَّ نورا لا تَخْتَلِفُ كَثيرًا عَنّا وَلَكِنَّها تَحْتاجُ إِلَى القَليلِ مِنَ المُساعَدَةِ.

طَوَّرْنا سَوِيّةً وَسيلَةً لِلتَّواصُلِ مَعَها، بَعْدَ أَنْ قَرَأْتُ مَقالًا عَنِ المَوْضوعِ عَلَى «الإِنترنَتْ»، فَصَمَّمْتُ مُجَلَّدًا وَضَعْتُ فيهِ صُوَرًا لِأَبْرَزِ الأُمورِ والأَشْياءِ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْها في المَدْرَسَةِ، فَكانَتْ عِنْدَما تُريدُ مِنّا أَنْ نَقومَ بِأَمْرٍ ما، تُشيرُ إِلَى الصُّورةِ، وَعَلى الفَوْرِ نَسْتَجيبُ لَها...

وَمَعَ مُرورِ الأَيَّامِ لَمْ تَعُدِ الفَتاةُ وحيدَةً ومُنْطَوِيَةً عَلَى ذاتِها، بَلْ أصْبَحَتْ أَقْرَبَ إِلَيْنا مِنَ السَّابِقِ، فَكانَتْ أَحْيانًا كَثيرَةً تُمْسِكُ بِيَدي وتَشُدُّ عَلَيْها، فَأَعْلَمُ عَلَى الفَوْرِ أَنَّهُ حانَ وَقْتُ الدَّورانِ والطَّيَرانِ في أَرْجَاءِ المَلْعَبِ!

في عالَمِ النّصّ

١ ـ ماذا طَلَبَتِ المُعَلِّمَةُ مِنَ الأَطْفالِ؟ وكَيْفَ اسْتَقْبَلوا رَفيقَتَهُمُ الجَديدَةَ؟

٢ ـ ما الَّذي أَثارَ اسْتِغرابَ الأَطْفالِ عِنْدَ دُخولِ نورا إِلَى الصَّفِّ؟ وماذا لاحَظوا مِنْ بَعْدُ في أَثْناءِ الشَّرْحِ؟

٣ ـ ماذا حَدَثَ في أَثْنـاءِ الاِحْتِفالِ بِعيـدِ ميلادِ أَحَدِهِمْ فـي الصَّفِّ؟ وكَيْفَ تَصَرَّفَتِ الآنِسَةُ ريم؟

٤ ـ تُعاني نورا ما نُسَمّيهِ «الذّاتَوِيَّةَ»، فَما هُوَ هذا المَرَضُ؟ إِشْرَحْهُ بِسَطْرَيْنِ..

التَّدريباتُ

١ ـ أَمْلأُ الفَراغَ بِمُترادِفاتِ الكَلِماتِ الَّتي تَحْتَها خَطٌّ، مُسْتَعيناً بِالنَّصِّ:

جَلَسَ كُلُّ مُتَعَلِّمٍ بِجوارِ ..... رَفيقِهِ حَسَبَ إِرشاداتِ ..... المُعَلِّمَةِ. وفي يَوْمٍ قُرِعَ ..... البابُ وأَطَلَّتِ النّاظِرَةُ.

شَعَرْتُ بِالأُنْسِ ..... وَكَأَنَّني أَعْرِفُ نورا مُنْذُ زَمَنٍ. والغَريبُ أَنَّها لَمْ تَدْخُلْ وَحْدَها ..... بَلْ رافَقَتْها تِلْكَ الآنِسَةُ. فَما هُوَ السَّبَبُ ..... لِيَكونَ لِطِفْلَةٍ مِثْلِنا مُعَلِّمَةٌ خاصَّةٌ في الصَّفِّ؟ كانَ دَوْرُ الآنِسَةِ أَنْ تَدْعَمَها ..... في الصَّفِّ وخارِجَهُ.

٢ ـ بَشَرَتُها بَيْضاءُ كالثَّلْجِ: شَبَّهَتْ لَيالُ بَشَرَةَ الطِّفْلَةِ بِالثَّلْجِ لِنَقائِها. أَكْتُبُ جُمَلَ تَشْبيهٍ مُسْتَعْمِلاً الكَلِماتِ الَّتي بَيْنَ قَوْسَيْنِ (فَراشَةً ـ وَرَقَتَيْ زَيْتونٍ لامِعَتَيْنِ ـ وَرْدَةٌ صَغيرَةٌ حَمْراءُ ـ الذَّهَبِ).

ـ عَيْناها خَضْراوانِ كَـ ..... .

ـ شَعْرُها أَشْقَرُ مِثْلَ ..... .

ـ هِيَ طِفْلَةٌ تُشْبِهُ ..... في رقَّتِها.

ـ فَمُها مَرْسومٌ كَأَنَّهُ ..... .

٣ ـ أُرَتِّبُ الكَلِماتِ في جُمَلٍ تُؤَلِّفُ فِقْرَةً واحِدَةً:

التّالي، ـ رفيقُنا ـ إِلَى ـ سامي ـ وفي ـ أَخْضَرَ ـ نورا ـ فَشارَكَتْنا ـ اليَوْم ـ مَعَهُ ـ المَدْرَسَةِ، ـ كُرَةً ـ اللَّعِبَ ـ سُعَداءَ. ـ في أَثْناءِ ـ بِها ـ الاسْتِراحَةِ، ـ جَميعُنا ـ وَكُنّا

٤ ـ أَضَعُ خَطّاً تَحْتَ الفِعْلِ المُضارِعِ في هذِهِ الفِقْرَةِ الَّتي تَنْقُلُ صورَةَ نورا (وَصْفٌ أَمْ سَرْد؟ .....):

أَراها تَدورُ حَوْلي، وهِيَ تُرَفْرِفُ بِيَدَيْها وَكأَنَّها تطيرُ؛ وتَبْقَى عَلَى هذِهِ الحالِ طوالَ الاسْتِراحَةِ، فَلا تكترِثُ لي ولِرِفاقي، ولا تَلْتَفِتُ إِلَى الآنِسَةِ ريم وهِيَ تُراقِبُها مِنْ قُرْبٍ.

٥ ـ أَكتُبُ الكَلِمَةَ المُناسِبَةَ (السَّرْدُ ـ الوَصْفُ ـ الحِوار):

..... : يَنْقُلُ الحَدَثَ ويَسْتَعينُ بِالأَفعالِ الماضِيَةِ والرَّوابِطِ الزَّمَنِيَّةِ.

..... : حديثٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أو أَكْثَرَ يَجْري عَلَى لِسانِ شَخْصيّاتِ القِصَّةِ.

..... : يَنْقُلُ الصُّورَةَ ويسْتَعينُ بِالنُّعوتِ والجُمَلِ الاسْمِيَّةِ والأَفْعالِ المُضارِعَةِ.

٦ ـ أُعيدُ سَرْدَ القِصَّةِ مُرَقّماً الجُمَلَ حَسَبَ تَرْتيبِها الزَّمَنيِّ مُلاحِظاً دَوْرَ الفِعْلِ الماضي:

وأَوْضَحَتِ المُعَلِّمَةُ أَنَّ الآنِسَةَ سَتَبْقَى مَعَنا في الصَّفِّ لِتُساعِدَ نورا؛	
ويَوْماً تَفاجَأْنا في أَثْناءِ احْتِفالِنا في الصَّفِّ بِرَدَّةِ فِعْلِ نورا؛	
قَرَّرْنا أنا ورُفَقائي مساعَدَةَ نورا واحْتِرامَ احْتِياجاتِها وعَدَم تَرْكِها وَحيدَةً؛	
إِذْ وَضَعَتْ يَدَيْها عَلَى أُذُنَيْها مُشيرَةً إِلَى البابِ لِتُخرِجَها الآنِسَةُ؛	
لاحَظْنا أَنَّ نورا لا تُشارِكُنا النّشاطَ وَتَلْعَبُ وَحْدَها في وَقْتِ الإِسْتِراحَةِ؛	
اسْتَقْبَلْنا في الصَّفِّ طِفْلَةً جَميلَةً بِعُمرِنا تُرافِقُها آنِسَةٌ لِتُساعِدَها؛	
ثُمَّ شَرَحَت لي كَيْفَ لا تَفْهَمُ الأَشياءَ كَما نَفْهَمُها، وتُزعِجُها الأَصواتُ المُرتَفِعَةُ؛	
أَخْبَرَتْني المُعَلِّمَةُ عِنْدَما سَأَلْتُها عَن حالِ نورا بِأَنَّها مُصابَةٌ بِالذّاتِويَّةِ،	